نابلس يزداد مع ابتعاد الاصلاحيين عن الاهتمام بفلسطين ومع تهادن اعيان وزعماء فلسطين انفسهم حيث لم يجد منهم الا « اصداء قولية ضعيفة » .

ومع ان (روبن) مدير مكتب فلسطين الصهيوني في يافا اكد في تقريره امام المؤتمر الصهيوني الحادي عشر في فينا (سبتمبر ١٩١٣(٢٩)) الى ضرورة خلق صلات سلمية ودية بين اليهود والعرب . لم يكن في جو العلاقات العربية الصهيونية في الفترة التي سبقت واعقبت عقد المؤتمر الصهيوني اي دليل على توقعات روبن المتفائلة . وتكررت حوادث الاشتباكات وكانت اعترافا بان حياة المستوطنات لم تكن آمنة ، وعمد الصهيونيون الى اسكات الصحافة المناوئة للصهيونية . فوجهت في ديسمبر ١٩١٣ الى صاحب الكرمل تهمة ملفقة ولم يتم الافراج عنه الا بعد هياج الاهالي ومطالبتهم بالافراج عنه(٣٠) . وفي ابريل ١٩١٤ اغلقت جريدة فلسطين بحجة انها تفرق بين العناصر بعد نشر صاحبها فقرة صغيرة يعد فيها قراءه بانه سيستمر في الوقوف بازاء الصهيونيين « الى يوم ترتجف فيه اعصاب الامة ... فتدوي دوي السيل الجاري ... وويل لظلمة الشعب من ذلك اليوم(٣١) » . وكانت الكلمات تعكس بصدق الاستياء المتزايد بين العرب ضد الغزو اليهودي ، حسب تعبير القنصل البريطاني في القدس(٣٢) . وكان لحادث تعطيل الجريدة صدى عميق على الراي العربي في فلسطين وغصت قاعة المحكمة في يافا بالمئات اخذت تتابع باهتمام وقائع المحاكمة التي اتخذت شكل مقاضاة بين الصهيونية وخصومها وشهدت القاعة تظاهرة ضخمة حين اصدرت هيئة المحكمة حكمها ببراءة صاحب جريدة فلسطين(٣٣) .

وسط هذا الرفض المطلق للصهيونية في فلسطين ، تجدد العرض من اجل تقارب عربي صهيوني . ويبدو ان اللقاءات التي تمت بين الصهيونيين وبعض الزعماء العرب قد انتقلت الى الاستانة(٣٤) . وقد بلغ مسامع الكرمل منذ ١٠ اكتوبر ١٩١٣ ، نقلا عن مراسل (البرق) في الاستانة ان احد الزعماء العرب يسعى لبناء اساس الاتفاق بين العرب والصهيونيين وتساءلت عن ماهية هذا الاتفاق . والصهيونيون يريدون ملكا في فلسطين العربية ، وحذرت عبد الكريم خليل رئيس المنتدى الادبي في الاستانة من ان يعرض مركز الشبيبة الى الظنون « ... اننا نعتقد بانه لا يوجد ولا يهوذا (اسخريوطي) واحد بينكم يبيع سيده وبلاده .. » . ونفى احد اعمدة الشبيبة في الاستانة بشدة هذه الشائعة مؤكدا ان « .. كل الشبيبة هم اشياع صاحب الكرمل .. وان كان من الممكن اقناع نجيب نصار بالاتفاق مع الصهيونيين ، فمن المحال تغرير ابناء اليوم ورجال المستقبل .. ان يأتوا بمثل هذه الخيانة العظيمة .. »(٣٥) .

مع ذلك فان المفاوضات كانت جارية ، ولم يمض على تساؤل الكرمل ايام حتى نشرت المقطم من مراسلها في الاستانة مقابلة مع زعيم صهيوني فيها ينقل تصريحات رسمية للجمعية الصهيونية(٣٦) . بعد ان قرر الصهيونيون في مؤتمرهم في فينا الاتفاق مع المطالبين بالاصلاح . « على اساس يكفل للامتين حقوقهما ويوثق بينهما عرى الاتفاق على ما فيه مصلحتهما .. » وكانت ردود الصهيوني على الاسئلة التي طرحها مراسل المقطم تكرارا لما سبق وصرح به الصهيونيون : الهجرة تقتصر على الفقراء المضطهدين، وهي لم تضر بالوطنيين بل كفيلة بترقيتهم وتنمية ثروتهم . وان البلاد لو حسنت زراعتها تستوعب خمسة ملايين ، وان الصهيونيين حريصون على عدم الحاق الضرر بالفلاح وما يسعون اليه هو شراء الاراضي البائرة ، كل هم الصهيونيين « ان نكون نحن والعرب على اتفاق ، فنشد ازرهم ونعاونهم على ما ينهض بهم في مراقي الحضارة والعمران ، ونزيل كل سوء تفاهم بيننا وبينهم » .

جاء الرد اولا من جماعة الاصلاحيين في بيروت ، وتمسك الشيخ احمد حسن طباره